الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

توطئة:

في الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية، تحتفل المملكة في الخامس من شوال لسنة ألف وأربعمائة وتسع عشرة للهجرة بمرور مائة عام على انطلاقة عبدالعزيز وفتح الرياض في الخامس من شوال عام ألف وثلاثمائة وتسع عشرة للهجرة.

وهذه المناسبة العزيزة جديرة بالاحتفال، فالملك عبدالعزيز - يرحمه الله- أسس دولةً وأنشأ نظامًا وأقام نهضة، وتلك مهمة تعهد بها المقادير لرجال عظام لا يتكررون بسهولة، ذلك أن تأسيس الدول وإنشاء النظم يحتاج إلى إرادة صلبة وعزيمة صادقة لتفجر طاقة فعل هائلة.

وتتميز شخصية الملك عبدالعزيز بالحس المرهف والرأي الصائب، والفكر الثاقب، ونفاذ البصيرة في معالجة الأمور. كما أنه قوي الإيمان بالله، إذ إن قوته وشجاعته نابعة من قوة إيمانه بالله وشدة تدينه، ولذا فإنه استحق حب الشعب العربي ونال إعجاب الجميع، وبايعوه زعيمًا للعالم العربي، واعتبروه المنقذ الوحيد للعالم الإسلامي.

أقام عبدالعزيز دولته على أساس العقيدة الإسلامية، وفي ظل راية التوحيد، فقد أدرك عبدالعزيز بأفقه الواسع وإدراكه الكبير، أن هذه البلاد بوجه خاص لا يصلح لها إلا الإسلام، ولا تصلح إلا بالإسلام، لذلك فإنه اتخذ من الشريعة الإسلامية منهجًا وعقيدة ونظام حكم في

دولته، وهذا يدل على عمق نظرته السياسية ووعيه وإدراكه وتبصره للأمور بحكمة ودراية واتزان، فقد ملأ فراغًا واسعًا وحقق لنفسه ولشعبه مكانًا كبيرًا في عالم اليوم.

ولا ريب أن سياسة الملك عبدالعزيز الحكيمة تجاه البلاد العربية والإسلامية دعت العرب والمسلمين للجوء إليه منذ أن كان سلطانًا على نجد وملحقاتها، وعندما تمكن من توحيد المملكة العربية السعودية، استقطب أنظار العالم العربي، فكان موقفه المشرف من قضية فلسطين حافزًا لجميع الدول العربية لأن تحذو حذوه، وأن تأخذ برأيه. وحقيقة الأمر أن الملك عبدالعزيز حمل هموم القضية الفلسطينية دون غيره من الزعماء العرب، فدافع عنها في المحافل العربية والإسلامية والدولية، وقد استأثرت هذه القضية بكل اهتماماته وأولاها جل رعايته، ولكن الظروف العربية والدولية جاءت على عكس ما يريد.

فموقف المملكة العربية السعودية من فلسطين «شعبًا وقضيةً» ثابت لا يتغير، وهو يقوم على أساس تحرير المقدسات الإسلامية والأرض التي بارك الله حولها من الاغتصاب والدنس، هذا الموقف المبدئي للمملكة ينبع من أصالة عربية ومسؤولية إسلامية طالما تحلت بهما المملكة العربية السعودية قيادةً وشعبًا، منذ عهد مؤسسها وباني وحدتها ودولتها الحديثة، وباعث نهضتها، جلالة الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- وفي عهد كل أبنائه البررة الميامين الذين ساروا على خطاه، دعمًا لنضال وجهاد الشعب الفلسطيني في كل مجال، والدفاع عن القضية على كل صعيد وبكل الطاقات والإمكانيات وحتى يتحرر الأقصى وتسترد الأرض المغتصبة.

وسأعرض لمواقف الملك عبدالعزيز التاريخية من هذه القضية منذ بداياتها الأولى وحتى النكبة.

نشأته وصفاته القيادية:

ولد عبدالعزيز عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، في قصر الإمارة بالرياض، وكان طويل القامة، عريض المنكبين، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن الكريم، وتلقى بعض أصول الفقه والتوحيد، ونشأ في بيت علم وأدب وجاه، وعلاوة على ذلك، فإنه أتقن استعمال البندقية، وركوب الخيل في الصبا والشباب، وانطلق في محاكاة الرجال العظام والقادة الأبطال(١).

ويُعدُّ عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود من الذين صنعوا التاريخ، فهو مؤسس دولة بل مجدد دولة وباعث نهضة، فكان شخصية طموحة ذا إرادة صلبة وعزيمة قوية، كما كان شجاعًا وحكيمًا ومؤمنًا بالله بلا حدود، وكان كريمًا جواداً لا ينقطع سخاؤه، فقد نشأ عبدالعزيز في الوقت الذي تكالبت فيه الشدائد على أسرته، وأحاط بها المتربصون من كل جانب، فعاش تلك الأحداث المؤلمة مما كان له أكبر الأثر في تغلبه على الصعاب التي لاقاها في مستقبل حياته، ذلك أن هذه الأحداث صقلته وجعلت منه إنسانًا هماماً عصاميًا يتخطى جميع العقبات ويحقق لنفسه أجمل الأمنيات(٢).

واتصف عبدالعزيز كذلك بالحس المرهف السليم والرأي الصائب النيّر، والفكر الثاقب ونفاذ البصيرة في معالجة الأمور، وإضافة إلى ما سبق، فهو قوي الإيمان بالله، إذ إن قوته وشجاعته نابعة من قوة إيمانه

---

(١) خيرالدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ج١، بيروت، ١٩٧٠م، ص٥٧.

(٢) خيرالدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ج٢، ص١٢٠٧.

بالله وشدة تدينه، الأمر الذي مكَّنه من توحيد البلاد وتأليف القلوب، هذا فضلاً عن أن شخصية عبدالعزيز جذابة، قادرة على احتواء الآخرين من شتى الثقافات والانتماءات والخلفيات، فقد فتن به العرب والمسلمون والأجانب، وبايعوه زعيمًا للعالم العربي، واعتبروه المنقذ الوحيد للعالم الإسلامي[١].

ولا ريب أن عبدالعزيز قد تلقى فن السياسة العملية في الكويت، فقد اشترك في بعض جلسات الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، حيث كانت الكويت في ذلك الحين ميدانًا للتنافس الدولي بين الدول الكبرى التي تسعى لاكتساب ود أمير الكويت واستمالته إلى جانبها، ونتيجة لهذا الصراع أصبحت الكويت مدرسة من مدارس السياسة العالمية، فشارك الملك عبدالعزيز الشيخ مبارك في جلساته مع ممثلي الحكومات الإنجليزية والروسية والألمانية والعثمانية[٢].

ولا ريب أن هذه الجلسات كانت حافلة بالمناورات والمحاورات، فانطبعت مقدماتها ونتائجها في ذهن عبدالعزيز، وتعلم منها لعبة الأمم أو التوازن الدولي في الكويت.

كما أدرك عبدالعزيز تأثير القوى العالمية على القوة المحلية، وأدرك أيضًا بُعدًا آخر حاسمًا، وهو القوة الذاتية القادرة على تحجيم تأثيرات هذه القوى العالمية، والقادرة على تغيير الواقع المحلي، لإجبار المعادلات

---

(١) المرجع السابق.

(٢) خيرالدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ج١، بيروت، ١٩٧٧م، ص٢١.
من المعروف أن آل سعود قد هاجروا إلى الكويت في أعقاب استيلاء آل رشيد على السلطة عام ١٣١١هـ/ ١٨٩١م، وذلك بترحيب من حاكم الكويت محمد الصباح الموالي للعثمانيين.

الدولية لتلائم الواقع الذي ينشده لأمته، إذ إن عبدالعزيز بعبقريته الفذة، قرر أن يستثمر التناقضات العالمية في سبيل تحقيق طموحاته باستعادة ملك آبائه وأجداده، فكان له ما أراد[١].

وفي مطلع القرن الحالي، تمكن عبدالعزيز من فتح الرياض في الخامس من شوال ١٣١٩هـ/ ١٥ يناير ١٩٠٢م، وتابع فتوحاته وانتصاراته فدانت له نجد كلها والأحساء، والحجاز وعسير. ونجح في تكوين دولة متحدة مترامية الأطراف بين الخليج العربي والبحر الأحمر، مكونًا ذلك الصرح الشامخ (المملكة العربية السعودية)[٢].

وقد قامت المملكة العربية السعودية على أساس العقيدة الإسلامية، وفي ظل راية التوحيد، فقد أدرك عبدالعزيز بثاقب نظره، وأفقه الواسع، وإدراكه الكبير الشامل لكل ما يحيط به، أن هذه البلاد بوجه خاص لا يصلح لها إلا الإسلام، ولا تصلح إلا بالإسلام، لذلك فإنه اتخذ من الشريعة الإسلامية منهجًا وعقيدة ونظام حكم وطبقها في دولته، وهذا يدل على عمق نظرته السياسية ووعيه وإدراكه وتبصره للأمور بحكمة وروية واتزان[٣].

إن هذه الوحدة الجغرافية والسياسية الكبرى والقوية والتي أقامها الملك عبدالعزيز في الجزيرة العربية، أثارت تطلعات العلماء والمفكرين والسياسيين والمثقفين المخلصين في العالم العربي والإسلامي ونداءاتهم،

---

(١) د/ عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، الرياض، ١٩٩٥م.

(٢) نفس المرجع.

(٣) محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، لندن، ١٩٨٢، ص٤٣.

التي تحلم بوجود نواة للوحدة العربية الإسلامية. ويعتبر هذا الإنجاز الوحدوي الضخم تحديًا لمحاولات الاستعمار الرامية إلى تفسيخ وتفتيت وحدة الوطن العربي والإسلامي، في وقت تكالبت قوى الشر والطغيان، قوى الاستعمار الغربي (بريطانيا وفرنسا) لتمزيق وتقسيم البلاد العربية والسيطرة عليها[١].

وهكذا نجد أن الملك عبدالعزيز قد جسد حلمه إلى واقع عملي ملموس، في وقت كان المناخ الدولي ينذر بنشوب حرب عالمية، والتنافس الدولي على أشده في منطقة الخليج العربي، والأجواء ملبدة بالغيوم وتنذر بالحرب. وفي ظل هذه الأجواء والتناقضات العربية والعالمية، استطاع عبدالعزيز أن يوحد معظم أنحاء الجزيرة العربية، رغم الظروف الصعبة التي واجهته والتي تتمثل في قلة الموارد، وانعدام وسائل المواصلات، والطرق الوعرة الصعبة الاجتياز في الجزيرة العربية[٢].

هذا هو الملك عبدالعزيز الذي استحق الحب والتقدير، ونال إعجاب الجميع. فلقد ملأ فراغًا واسعًا في شبه الجزيرة العربية، وحقق بذلك لنفسه ولشعبه مكانًا واسعًا في عالم المتغيرات، فقد أسس دولة حديثة وأنشأ نظامًا عصريًا، وتلك مهمةٌ تعهد بها المقادير لرجال لا يتكررون بسهولة، فقد استطاع إحداث تفاعل بين الزمان والمكان، وبين التاريخ والجغرافيا، وذلك لبناء الدولة التي أسلمها لأهله وشعبه آمنة مستقرة[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. أحمد طربين، الوحدة العربية في المشرق العربي، دمشق، ١٩٨٠م، ص١٣٤، ١٣٥.

(٣) الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٣-٤٢.

هذه الدولة أخذت على عاتقها مساندة القضايا العربية والإسلامية منذ فترات تأسيسها وحتى يومنا هذا، وهذا ما فعلته المملكة ولا زالت تفعله من أجل فلسطين وأهل فلسطين ونصرة الحق وعودة الحقوق المغتصبة إلى أهلها.

obeikandl.com